خريف الذكريات

متولي عمر أبو ناصر ـ فلسطين

المكان:

غرفة متوسطة الحجم، عبارة عن مكتبة داخل منزل.

جهة اليسار هناك باب مغلق علقت عليه لوحة لإحدى الطرق في مدينة دمشق القديمة.

من جهة اليمين هناك نافذة ،و مقعد خشبي «هزاز» بني اللون.

مريم تقف عند النافذة تنظر من خلالها إلى الشارع.. في ذات الوقت تمسك بأحد الكتب تربط حوله سلسلة حديدية غليظة بحيث لا تترك أي مسافة فراغ.. لم نعد نستطيع رؤية الكتاب، فقد أصبح كتلة حديد لا أكثر.

نستطيع أن نرى خلال ذلك بأن مريم رُبطت يدها اليمنى بسلسلة غليظة تمتد حتى القدم اليمنى للمقعد.. إنها تستطيع التحرك في جميع أنحاء الغرفة ما عدا قدرتها على الوصول إلى الباب المغلق..نسمع ضحكات الأطفال الآتية من النافذة و هم يلعبون.. مريم تبتسم.. تضع الكتاب الحديدي على أحد رفوف المكتبة ..تمد يدها نحو رف آخر و تخرج ثوباً لطفلة صغيرة زهريّ اللون..

ـ الطفولة أجمل..؟

لهو ولعب دون رقابة أو محاسبة، وغالباً يكون الخطأ بسيطاً فلا نحاسب عليه.

كان عمري ثلاث سنوات عندما اشترى لي والدي هذا الثوب.

ـ أحب الألوان الفرحة، وخاصةً الزهرية منها.

يقولون إن اللون (الزهري يفك القهر) لدى الرجال، و لكنه لدى المرأة يجعلها تشعر بالتفاؤل.

حتى الألوان نلبسها ثوباً غير ثوبها..

تعيد الثوب إلى مكانه..تحاول إحضار شيء ما من رف آخر، لا تستطيع.. تصعد على المقعد الخشبي، تخرج بخوف علبة صغيرة من أحد الرفوف العالية للمكتبة..تجلس في منتصف خشبة المسرح..تخرج من العلبة ثوباً لونه أحمر.. تضعه على جسدها..إنه قصير فهو لطفلة لم تتجاوز بعد الثانية عشرة..تتجه نحو مقدمة خشبة المسرح.. نرى أن السلسلة التي قيدت يدها اليمنى تعيدها خطوة للوراء فتقع على ركبتيها، فنرى الثوب قد أصبح على طول قامتها.

كان هذا آخر ثوبٍ أحمر ارتديه...

اقتطع والدي ثمن هذا الثوب من راتبه الأول..

لم يعد صحفياً حراً. رغم أنه كان يرفض العمل في

مجلات الفضائح، إلا أنه الآن محرر ثابت في إحدى المجلات الفنية الخاصة.

منذ اليوم الأول في عمله قال لوالدتي:

ـ إنها الفتاة الوحيدة من بين ثلاثة شباب ويجب الاهتمام بها.

أنا أحب الألوان الزاهية والفاقعة على الأطفال.

هكذا قال لها، وما أن ارتديت الثوب حتى بدأت عيناه تراقبان جسدي دون أن أفهم تلك النظرة

وكأنه يرى ابنته لأول مرة في حياته. لا أعلم ما الذي رأيته في عينيه في تلك اللحظة ..

هل هي الدهشة أم الاستغراب ..أم نظرة أخرى لم أفهمها في ذلك الوقت.

غمز والدتي كي تقترب منه.. همس في أذنها بعض الكلمات وخرج سريعاً من الغرفة.

جاءت أمي إلى جانبي بارتباك وخجل، وقالت لي اخلعي الثوب عنكِ.

قلت لها: لماذا؟

علقت بطريقة سريعة.. إنه قصير ويحتاج إلى أن..

لم أدعها تكمل ..ولكنه جميل... ماما.. الثوب طوله جيد.

إلا أنها أصرت أن أخلع الثوب عن جسدي..

انهمرت الدموع من عيني سريعاً ، وكلما حاولت أمي تهدأتي انفجرت أكثر في البكاء.

ـ احتفظي بالثوب و لكن..

ـ ولكن ماذا..؟

اشترطت عليّ أن أرتدِ الثوب في المنزل ،و أن أحذر والدي، وأخوتي .

وافقت على الأمر ،و أنا لا أعلم لماذا و كيف .

المهم بعد هذا اليوم لم ارتدِ من كل سنوات حياتي الطويلة سوى الرمادي من الألوان .

ابيض ..اسود..رمادي..ابيض ..اسود..رمادي.

ثياب جميلة للمنزل ،و أخرى لخارج المنزل.

ضاقت مساحات المنزل فجأة ..بدأت البحث عن أكثر الأماكن وحشة داخل المنزل..

نعم المكتبة..إخوتي لا يدخلونها إلا نادراً ، ووالدي قرأ غالبية هذه الكتب.

أصبحت رفوف المكتبة مخبأً أهرب إليه بأشيائي المحرمة دون أن أدري..

أنا لا أحب اللون الأحمر، ولكن لا أفهم سبب احتفاظي به حتى هذا الوقت ..؟

ربما لأن والدي كان يحب هذا اللّون، وخاصةً عندما كنّا نذهب إلى الحقول الخضراء.

عندما كان ينظر إلى أزهار شقائق النّعمان الحمراء الموجودة في المروج يصاب بالجمال.

ـ اللّون الأحمر يظهر تألق هذه المروج..إنها حالة انسجامٍ لا نجدها سوى في الطبيعة.

هكذا كان يعبر عن عشقه لطبيعة الألوان و سحرها..

ـ أمي لماذا أصبح أبي يكره الألوان..؟

ـ أصبحت أنثى يا ابنتي..

ـ أنا بنت..

ـ أنت أنثى..عليك أن تنتبهي إلى تصرفاتك منذ الآن.

ـ أريد النزول لألعب مع الأولاد في الشارع..

ـ عيب..

ـ أخوتي يلعبون في الشارع ..

ـ إنهم أولاد..

ـ أنا ولد..

ـ أنت فتاة ..

ـ أريد اللعبة في الحديقة..؟

ـ ممنوع.

ـ أريد اللعبة في الصالة..؟

ـ ممنوع..

ـ أريد الخروج مع صديقاتي كما كنت أفعل دائماً.

ـ ممنوع..ممنوع...

تعيد الثوب إلى علبته ومن ثم إلى رف الكتب.. تمسك الكتاب الملفوف بسلسلة الحديد.. تتجه نحو منتصف خشبة المسرح تضع جزء من السلسلة فوق مجموعة كتب تناولتها من الرفوف ، وقبل أن تبدأ بضرب السلسلة..

وقتها لم أفهم أن ساقيّ أصبحا أكثر بياضاً، ونهداي أكثر نضجاً و بروزاً.

لا أعلم من يسبق من .هل الرغبة لدى الآخرين أم نمو الرغبة في جسدي.

لقد كبرت..

تبدأ بضرب السلسلة.. نسمع صوت الحديد المتصادم ببعضه..

لقد كبرت.. كبرت و لا أزال طفلة صغيرة.

المحاولة تفشل في قطع السلسلة.. تتجه مريم نحو الباب بانفعال إلا أن قصر طول السلسلة يعيدها إلى منتصف خشبة المسرح.. تصدر صوت ألم من هذا الاندفاع.

ربما الأماكن الضيقة تجعلنا ندرك المسافات بطريقة أفضل، ولكنّنا في النهاية نكتشف أنّنا في المنتصف.. المنتصف مسافة زمنية نعتقد بوجود المكان فيه.. خطوة للوراء.. خطوة للأمام

لا أحد.. أنت وحدك في المنتصف..لا ريح تعيد إلينا ما سرق منّا من طرق القوافل.

الدائرة تتسع أكثر و أكثر ..تنغلق أكثر ..تضيق أكثر.. تبحثين لك عن مركز جديد ..لا أحد..

تحاولين الخروج..تُهزمين.. تضيعين في مسافة المنتصف الوحيدة..تصمدين و تحاولين التمرد أو النسيان.. تحاولين الخطأ و الصواب تبقين في الدائرة المغلقة.

تدور حول نفسها في منتصف الغرفة.. السلسلة تلتف حول جسدها فتأخذها إلى الزاوية اليمنى في عمق المسرح.. تعود بعدها وهي تمسك بعض الأوراق المكتوب عليها قصائد نثرية.. الأوراق قديمة..تقرأ في إحدى الأوراق ..موسيقى.

في دمشق الربيع أجمل..

منازل يسكنها بياض الياسمين
مروج خضراء تحتضن نهر بردى..
والأطفال في ساحات العيد..
في دمشق أمي تحيك من ضوء القمر ثياب العيد
و تنسج من قلبها الدافئ قبعةً للشتاء.

ـ هذه القصيدة كتبتها عندما كان عمري عشر سنوات. أذكر أن والدي وعن طريق أحد الأصدقاء، دفعني للمشاركة في أحد الأمسيات الشعرية المخصصة للأطفال.وأنا على المنبر كنت أنظر إلى عيني والدي..
لا أعرف في ذاك الوقت ما هو الشعور الذي انتاب والدي ولكني سمعته بعد انتهاء الأمسية يتحدث إلى أصدقائه..

ـ هذه ابنتي.. إنها مريم عبد العزيز.. انظروا إليها جيداً كم هي جميلة.
سوف تصبح شاعرة جميلة عندما تكبر..

ـ ياه.. ما أجمل تلك الأيام..
حقاً.. الطفولة أجمل..؟

تتوقف الموسيقى تنظر إلى السلسلة التي قيدت يدها..

نعم.. نسيت إخباركم قصة هذه السلسلة.

تجلس على المقعد الخشبي.. تبدأ بتمشيط شعرها الأسود الداكن الطويل.. تنظر إلى مرآة صغيرة موجودة على المقعد..

لا أعلم كيف مرت السنوات منذ تلك اللحظة، أو بالأحرى لم أنتبه فهو لم يكن سوى ثوب أحمر لا أكثر.

كل ما أذكره أن ملاحظات والدي وأخوتي الشباب كثرت، وخروجي من المنزل أصبح نادراً إلا إذا كنت برفقة أمي أو عمتي سمراء، ولعل أكثر ما كان يضايقني خلال هذه السنوات التي سبقت دخولي إلى الجامعة هو ابتعاد والدي عني.

لم يعد يحدثني بعفويته المعتادة، فأصبحت كلماته أكثر انضباطاً ومزاحه أكثر جدية، وخروجي معه تقريباً أصبح شبه مستحيل إلا إذا كانت هناك مناسبة.

حتى إذا أردت التدلل عليه أو تقبيله كان يبعدني بطريقة غير مباشرة وهكذا بدأت المسافة تكبر بيني وبينه ولكن عشقي له لم يتغير..

دخلت الجامعة وأصبحت الأحداث أكثر تسارعاً..

مّر الفصل الأول، والثاني دون مشاكل تذكر، وعلى العكس تماماً كانت حالتي أكثر هدوءاً من أي وقت

مضى، وكنت ما أزال أشعر بتلك الطفلة الصغيرة، رغم جميع المحاولات التي مارسها علي والدي بقصد أو بغير قصد حتى أصبح شخصاً مختلفاً.

ـ لا أعلم لماذا يكون الآباء أصدقاء أطفالهم في الصغر، وعندما يكبرون...

لحظة صمت.. تنهض عن الكرسي.. تتجه نحو مقدمة خشبة المسرح.

التقيت هشام في اليوم الأول من العام الدراسي الثاني أثناء دخولي إلى المحاضرة..

هناك شيء ما.. شعور غريب.. عاطفة مختلفة.

أردت التحدث إلى أحد.. أمي توفيت قبل دخولي إلى الجامعة، وأبي.. كم أنا بحاجة للحديث إليك..

تتجه نحو النافذة.. تمد برأسها وجسدها كأنها تريد الخروج من النافذة.. السلسلة تعيدها إلى منتصف خشبة المسرح.. تحضر بعض الكتب من رفوف المكتبة.. الكتب كبيرة الحجم وقديمة جداً..

تضعها على الأرض.. تمسك بالكتاب الحديدي الذي صنعته كمطرقة صلبة.. تضع السلسلة الغليظة على الكتب وتبدأ بضربها في محاولةٍ لقطعها.. نسمع صوت الاصطدام بين الكتاب والسلسلة..

بعد جهد كبير تنهار من التعب.. تتمزق الكتب ولا تنقطع السلسلة..

لحظة صمت ..موسيقى.

في خريف 1995، السماء شاحبة والشمس غابت خلف الغيوم وبقيت بعض أشعتها الهاربة تلفح وجهي من حين إلى آخر..في هذا اليوم تعلمت الحب و الكذب معاً..

كانت المرة الأولى التي أخرج فيها برفقة هشام في رحلة إلى البحر ، و كانت المرة الأولى التي أكذب فيها بتغطية من عمتي سمراء..

جلست فوق صخرة قريبة من الشاطئ أراقب هشام وهو يلقي بجسده النحيل من موجة إلى أخرى.

انسجام لم أفهمه.. هدوءه وغضب البحر الخريفي..

بقي لأكثر من ساعتين في عمق البحر.. عيناه تمتدان إلى أقصى ما يملك من مسافة في الأفق.

عند عودته جلس بجانبي بصمت، وعيناه لا تزالان تبحثان عن شيء ما في هذا المدى الواسع، وكأنهما تمشطان البحر.

لم أستطع احتمال صمته فقاطعته:

ـ البحر جميل.. أمر غريب يعتريك عندما تحضره.. قاطعني..

ـ وجهك يسكن هناك في أقصى هذه المسافة اللا مرئية..

حاولت تغيير الموضوع..

ـ البحر يجعل في رغبة التأمل أمراً ملحاً، فلا تستطيع سوى الصمت والنظر في هذا الوجود.

ـ أردت العودة إلى خط التوازنات الذي في داخلي ، ولكن الصراع استمر..حرب طاحنة تدور بين رغبتي ورقيبي الداخلي ...

ـ لماذا تحاولين الهرب ..؟

قلت له: إني لا أهرب مما أنا فيه.. ولكنّي أخافه..أخاف من المضي فيه.

بعدها سيطر الصمت حتى صعودنا إلى الباص..

جلسنا وكل واحد منا يبحث عن معنى لرغبته..

حاولت النظر إلى الشخوص الموجودة في الباص علّها تساعدني على الهروب من صمتي، وكلما هدأ هذا الصمت وعادت عينايَّ تنظر إلى بريق عينيه يعود الصمت أكثر قوة وضجيجاً..

ـ بَحبِكْ..

رميت برأسي تحت كتفه..

ـ بحبكْ..

يداه تداعب خصلات شعري التي تبعثرت على صدره

وكتفه.. شيء ما يسطو عليك ويستحوذ على كيانك.. لا تستطيع الفكاك منه.

كل المحاولات التي استمرت لأكثر من عشرين عام من تعلم الضوابط الاجتماعية وخلق الرقابات الذاتية ذهبت.. هكذا بسهولة دون أن تحدث أي ضجيج بسقوطها.

يداه تسرق جسدي.. إني لا أرى شيئاً.. لم أعد أرى بريق عينيه..

تنمل جسدي كله، كما اللسان عندما يمضغ زهرة النعناع.

قدمايَ ترتجفان.. الذاكرة قفزت دون مقدمات.. اختلطت الوجوه فما عدت أرى بوضوح..

إلى أين أنا ذاهبة.. هشام..هشام أرجوك لا تفعل ذلك.. أرجوك.. هي رغبتي أيضاً ولكن..؟

تتوقف الموسيقى ..تجلس بجانب المعقد الخشبي الهزاز تتخيل وجود والدها.. تخاطبه.

ـ والدي..

منذ وفاة والدتي شعرت بابتعادك أكثر عني.. لماذا..؟

لم تكن أسباباً منطقية.. أنا أحتاج إليك.. أحتاج إلى

نصيحتك..

والله إني أحبك أكثر من أي شخص في هذا العالم..

والدي..

أريد أن أبوح لك بسر كما كنت أفعل عندما كنت طفلة صغيرة لم تتجاوز بعد من العمر إثني عشر عاماً..هل تذكر صحبتنا معاً..؟

عندما كنت أخطئ لم أكن أخاف منك.. غالباً ما كنت أشعر أنني أستطيع التواصل معك أكثر من أمي.

منحتني الثقة في طفولتي وسرقتها مني.. لا أعلم هل السبب الذي اعتقدته كافٍ لتغير سلوكك معي..

لقد كبر جسدي فقط..لم يكن سوى جسد..

لحظة صمت.موسيقى...عزف منفرد على الكمان.

هل تذكر شجرة الياسمين في منزلنا.. هل تذكر..

عندما زرعتها كانت ما تزال شتلة خضراء صغيرة.. لم تشعر أنها تعنيك إلا عندما بدأت أزهارها بالتفتح..

لقد كبر جسدي فقط.. تفتح دون أن أدري.. لم أكن أريد ذلك، ولكنه تفتح ماذا أفعل..؟

لقد أخطأت.. نسيت للحظة عاداتنا، وتقاليدنا.. نسيت قوانين أسرتنا ومجتمعنا.

لا أعلم هل هي لحظة ضعف أم قوة..تاهت طفولتي فيَّ فضاء الحاضر الغريب عنك و عني ولكني أعيش فيه.

أمي توفيت، وأخوتي رحلوا عنك وعن هذا المكان، ولم يبقَ إلا أنا وأنتَ في هذا المنزل..

إنها الرغبة.. الرغبة والقانون ضدان لا يلتقيان إلا تحت عباءة الخوف والكذب.

الكذب..كانت أول مرة أكذب فيها عندما تأخرت عن المنزل لأول مرة .

كان ذلك في الصف العاشر .

صديقتي منال أرادت السير إلى المنزل مشياً على الأقدام بعد خروجنا من المدرسة .

تأخرت عن المنزل ساعة واحدة ، وعند عودتي صرخت أمي بوجهي ..

لماذا تأخرت حتى هذا الوقت..

وبشكلٍ لا شعوري قلت لها السيارة تعطلت..

لم أفعل في ذاك الوقت ما قد يضطرني إلى الكذب، ولكن وجه أمي الغاضب والقلق جعلني أشعر بضرورة الكذب..

المشكلة أن أمي كانت تعلم أنني أكذب . ليس في هذه

الحادثة فقط بل في جميع الحوادث التي حصلت بعدها وفي جميع المرات التي كذبت فيها لم يكن هناك داعٍ للكذب.

تنهض.. تخرج بعض الكتب من الرفوف ..تضعها فوق بعضها.. تتصاعد الموسيقى

صورتك لازمتني فما استطعت الاستمرار في خوض هذه المعركة، رغم علمي أنها لم ولن تنتهي..

صورتك تحرق ظلي.. تفقدني مرآتي.. ولكني أحبك..

(تركع على ركبتيها..)

لقد تعرفت على شابٍ يدرس معي في الجامعة..

أريد التوقف عن الكذب ..وعن الابتعاد عنك .

تتوقف الموسيقى..

إني أحبه من كل قلبي.. أحبه بصدق..

تمسك بالكتاب الحديدي.. تضع السلسلة على بعض الكتب .. تبدأ بضرب السلسلة..

ـ يداه تمتدان في تناغم مع قدميه.. جميع الأشياء تتطاير داخل الغرفة نحو جسدي.. الجدران تغطيها دماء طفلة صغيرة.. المكان يضيق أكثر.. طفولة تسحقها صراحة الأبناء مع الآباء.. الماضي يكسرالعتمة.. العتمة تشوه

الحاضر.. الحاضر طفلة صغيرة رمادية الألوان تقف في المنتصف تحيط بها الكتب من كل جانب..

تتوقف عن ضرب السلسلة..تفشل محاولة كسرها..تتمزق الكتب.. تتجه نحو مقدمة خشبة المسرح..

قلت له: والله يا أبي لم أفعل ما يغضبك..

نعم أنا مخطئة ولكن..

في الصباح الباكر دخل والدي إلى غرفتي حاملاً سلسلة طويلة، وقال:

حبيبتي مريم العالم خارج هذا المنزل موحش والناس لا ترحم.

أنا الآن وحيد..إخوتك هجروا المنزل، ولم يبقَ إلا أنت.

أنا أريد الحفاظ عليك.. أنا مخطئ.. نعم أخطأت معك عندما ابتعدت عنك..

سوف أعلمك كتابة الشعر من جديد.. المتنبي هل تذكرين المتنبي..؟

ـ لم أتعلم كتابة الشعر الموزون..كانت الأمسية الوحيدة.

ـ علينا أن نقرأ و نتعلم من جديد.

ـ ولكني قرأت ..

ـ ما رأيك أن نعود كما كنا سابقاً، معاً إلى الأبد..

ـ سوف أفعل كل ما تطلبه مني.. أنت والدي وأنا أحبك..

لن أذهب إلى الجامعة..

لن أقابل أصدقائي..

لن أذهب لزيارة قبر أمي..

لن أحب بعد اليوم..لن أقابل هشام.

سوف أفعل كل ما يرضيك..

سوف أبقى إلى جانبك طوال عمري.

(لحظة صمت..تنهمر الدموع من عينيها)

لم أتردد في الموافقة على ما يريد، إنه عالمي الذي أحب..

والدي هذا الرجل الذي عاش من أجلي أنا وأخوتي كيف لا أوافق على بقائي معه في هذه الغرفة إنه ذاكرتي كلّها..

وافقت ، علّي أستطيع وصل ما انقطع من الذاكرة .

وافقت على البقاء معك لأنّني تهتُ بين شرعية الواقع وشرعية الماضي و قوانينه.

بكامل إرادتي وضعت هذه السلسلة حول معصمي

ورميت المفتاح خارج النافذة..

ما أجمل أن نعيد البدايات هكذا اعتقدت حينها..

قلتُ في نفسي إنها أيام..أسابيع لا أكثر.

تحضر من بين الرفوف ألبوم صور.. تقلب صفحاته.. تجلس في منتصف خشبة المسرح.. تخرج الصور من الألبوم..

ـ مرت سنوات عدة على وجودي هنا.. لا أذكر.. توقفت الذاكرة عند هذه الصور..

في المنتصف.. الوجوه متعبة، والريح تحرق أصابعنا والفراشات..

طفلةٌ في المنتصف.. نصف ذاكرة ونصف موت..

يا أنتْ..

خذ مني كل الياسمين..

خُذْ مني تفاحتي، وكل ما تبقى من أحلاميَ المتكسرة على سطح البحيرة..

يا أنت..

تمسك بإحدى الصور .. تمعن النظر أكثر في الصورة..

التقطت هذه الصورة عند بحيرة «زرزر».

كنت ووالدي ننظر إلى وجهينا المنعكسين على سطح

البحيرة. قال لي يومها:

مهما يحدث معك في المستقبل أريدك أن تخبريني بكل شيء.

أريدك أن تكوني معي مثل هذه البحيرة الصافية..

مريم..أنت الآن طفلة صغيرة ولكن.. حتماً سوف تفهمين ما أقول:

عيشي حرة يا مريم.. أريدك هكذا حرة.. «أخت رجال»..

العلم..تاريخنا..أنا أثق بك، وأعرف ماذا ربيت.. الأصالة يا مريم.. تركت لك إرثاً عظيماً..

إنها المكتبة.

أجدادنا لم يتركوا شيئاً إلا وقالوه..

تخبّئ الصورة في أحد الكتب.. تتجه بعدها إلى إحدى زوايا الغرفة المظلمة..

تعود وهي مرتدية جلابية سوداء كانت ملك والدها.

ارتديت جلبابك، ولكني لم أستطع ارتداء ثيابك الداخلية..

الرائحة تختلف.. ليس خطأي، إنها طبيعة الأشياء..

لكلٍ منا رائحته ولونه، وتجربته..أنت تغيرت ..

تحضر بعض الكتب..تضع السلسلة فوقها .. تمسك بالكتاب الحديدي وتبدأ بضرب قيدها ..

تركت جامعتي، وابتعدت عن حبيبي..

لم أعترض على ذلك، وأعلم أنّني وافقت بملء إرادتي ولكن..

ألم ترتكب في حياتك أخطاء.. كلنا نخطئ..

إنها تغيرات فيزيولوجية لا أكثر، أنت متعلم وتفهم..

كنت ما أزال طفلة صغيرة..

لا أفهم كيف تُعطيني الثقة ومن ثم تسرقها مني دون مبررات.

قرأت جميع الكتب الموجود هنا آلاف المرات ، لم أجد تفسيراً واحداً لما يحدث.

تتوقف عن ضرب السلسلة..تتمزق الكتب،و تفشل المحاولة مرةً أخرى..تشم رائحة عفنة كأنها رائحة جثة ..تنادي والدها..

أبي.. أين أنت.. كأنك رحلت..

أشم هذه الرائحة منذ وقت، ولكني خفت تصديقها.

أبي. .. لا تتركني وحيدة في عالم الغرف المغلقة ..أبي..

لا أريد الخروج منك، ولا أريد البقاء فيك..

ولكنك رحلت كما يفعل الزمن..يمضي دون عودة .

تتجه نحو الباب المغلق.. تشدها السلسلة بقوة لتعيدها إلى منتصف الغرفة.. تتعثر بالكتب الموجودة على الأرض..

تمسك ببعض الكتب وتبدأ بقراءة أسماء مؤلفيها..

الزمخشري.. الطبراني.. المتنبي.. البحتري..المعري.. الأفغاني.. محمد عبده.

تمسك بطريق الصدفة الكتاب الملفوف بالسلسلة الحديدية ..

ماذا فعلت بي يا أبي..

جميع إرثك على الأرض اصنع منه كتلة حديدية أخرى لأقطع هذه السلسلة...

ماذا صنعت..؟

لم تصنع سوى أربعة جدران وباب مغلق، ونافذة ضيقة..

لحظة صمت.. نسمع ضحكات أطفال تأتي من النافذة.. تتجه نحو النافذة.. تنظر لبرهة ثم تعود إلى منتصف خشبة المسرح ..موسيقى

انظر الآن عبر النافذة..

الأصوات تعلو وتعلو والأولاد يلعبون في الشارع..

ينظرون إلى الأعلى علّهم يلتقطون وجه فتاة يتخفى وراء خيوط غبار الشمس المنسلة عبر ثقوب النوافذ.

تضع السلسلة على مجموعة كتب.. تبدأ بضرب السلسلة.... تفشل المحاولة.. تمسك السلسلة وتتبع مكان ربطها لتصل إلى المقعد الخشبي..

تتحدث إلى والدها للمرة الأخيرة.

عشتَ طويلاً على مقعدك الخشبي ومتّ عليه.. تركتني للريح وللذاكرة..

ما الذي أستطيع فعله بعد هذه السنوات الطويلة ..؟

أخاف..أخاف الخروج من هذا المنزل لأني أعلم أنني لن أجد أحداً.

إلى أين أمضي ..؟

لن يكون هناك سوى القبور .

إن خرجتُ لن أجد سوى أسماءً مضت إلى شواهدها فوق القبور

وإن بقيتُ هنا سيضاف اسمٌ جديدٌ على تلك الشواهد..

بعد كل هذه السنوات التي مرت ..في الصمت ما أزال أسمع ضجيج نفسي ،و في الصوت أسمع ضجيج الآخر فيّ أيضاً..

تقلب المقعد الخشبي الهزاز.. تبدأ بضرب قدمه اليمنى مكان ربط

السلسلة.. نسمع صوت المطر.. ضحكات الأطفال .. تنكسر القدم اليمنى للمقعد الخشبي وتفك السلسلة.. ريح قوية تهب داخل الغرفة..يفتح الباب..لا تتجه نحوه،بل نحو النافذة ..تفتح النافذة.. نورٌ ساطعٌ يدخل الغرفة إضاءة عامة ..تخرج جميع الأغراض المخبأة من بين الرفوف..صورة هشام ..ثيابها الزاهية..

الياسمين أجمل عندما يتدلى عن أسوار المنازل إلى الطرقات..

الياسمين أجمل..عندما نلتقط أزهاره من الطرقات..

الياسمين أجمل..

ياه..ما أجمل الطفولة .